عن اتفاقية سايكس ـ بيكو وعن وعد بلفور، وان حق تقرير المصير امر محتوم بالنسبة الى بلدان الهلال الخصيب، وذلك امر لم يحصل، بل حصل ان امتنعت حكومتا بريطانيا وفرنسا عن الاشتراك في لجنة دولية تنبثق من الدول الكبرى الممثلة في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس لاستفتاء سكان المشرق العربي حول تقرير مصيرهم. واقتصرت اللجنة المعروفة بلجنة كنغ ـ كراين على اميركيين. وكان من حسن حظ فرنسا وبريطانيا عودة الولايات المتحدة الاميركية الى سياسة العزلة وعدم الانضمام الى عصبة الامم وموافقتها على اطلاق يد حليفتيها الاوروبيتين في الشرق الاوسط، مما اتاح لكل من فرنسا وبريطانيا الاستئثار بالقرارات داخل مؤتمر الصلح وفي اروقة عصبة الامم، كلما تعلق الامر بمصائر بلدان هذه المنطقة.

واخذت ملامح التضليل تتكشف في العام ١٩٢٠، عندما هاجمت القوات الفرنسية دمشق وازالت الحكم الفيصلي الاستقلالي بعد ان حصلت هي وبريطانيا، في مؤتمر الصلح في سان ريمو، على غطاء دولي للانتداب على بلدان الهلال الخصيب، وعلى قيام بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور.

راودت الساسة البريطانيين فكرة اقامة «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية. وقد وضحت معالم هذا التوجه عقب حملة نابليون على مصر وتوسع محمد علي باشا في سوريا والاناضول. وازداد اهتمامها بهذا التوجه بعد شق قناة السويس. وكانت بريطانيا تبغي من وراء ذلك حماية طرق مواصلاتها مع بلدان امبراطوريتها، وفصل المشرق العربي عن المغرب العربي. وتمثل الخطأ القاتل الذي اقترفه العرب في الركون الى التضليل البريطاني والتعامي عن المرامي والمصالح الامبريالية البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها. وعظم هذا الخطأ عندما حصر العرب عداءهم بالحركة الصهيونية دون بريطانيا أول الامر، بعد قيام الانتداب، علماً بان بريطانيا هي اصل الداء؛ فهي التي اصدرت وعد بلفور، وحصلت على غطاء دولي لتنفيذه في مؤتمر سان ريمو وفي صك الانتداب. وفي ادبيات هرتسل اكثر من اشارة الى ضرورة ايجاد دولة كبرى ضامنة ترعى قيام «الوطن القومي اليهودي»، وبالطبع كانت بريطانيا هي الضامن المفضل الاول، وذلك لالتقاء المطامع البريطانية مع المطامع الصهيونية[١].

صك الانتداب الطريق الى «الوطن القومي»

وضعت بريطانيا مشروع صك الانتداب واقره مجلس عصبة الامم في ٢٤ تموز (يوليو) العام ١٩٢٢. وهذا المشروع هو صورة مشابهة للمشروع الذي كانت الجمعية الصهيونية عرضته على مؤتمر الصلح في شباط (فبراير) العام ١٩١٩.

ولقد تضمن الصك اشارة الى ان الدول الحليفة قد اختارت بريطانيا منتدبة على فلسطين، وان بريطانيا قبلت المهمة. وفوق ذلك، تضمن الصك تعهد حكومة صاحب الجلالة تنفيذ وعد بلفور والاعتراف «بالصلة التاريخية» التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، مع العلم بان فصل فلسطين عن سوريا بتجزئة المشرق العربي وفق اتفاقية سايكس ـ بيكو واغراق وعد بلفور وقرارات سان ريمو، كل هذه الامور كانت مقدمات لتمكين بريطانيا، بعد الحصول على الموافقة الشكلية للدول الحليفة كغطاء دولي، من تحقيق وعد بلفور تحت سقف الانتداب[٢].